وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات

شهادة مشاركة

تمنح هذه الشهادة لـ: الدكتور عمر بورنان

نظير مشاركته في ملتقى "محمد البشير الإبراهيمي" الدولي الرابع الموسوم

"الثقافة الوطنية وتقويض الخطاب الكولونيالي: المنطلقات والنتائج"

بمداخلة عنوانها:

هدم الخطاب الكولونيالي عند الفيلسوف والمفكر الجزائري مالك بن نبي

المنعقد يومي: 24 - 25 ماي 2022

مدير الجامعة

أ.د. بوعزة بوضرساية

عميد الكلية

عميد كلية الآداب
بالنيابة
الدكتور: بوعلام

رئيس الملتقى

أ. عبد الله بن صفية

برنـامج الملتقـــى

اليوم الأول: 24 ماي 2022

افتتاحية الملتقى (09:00 — 11:00)

- ✓ استقبال الضيوف وزيارة معرض صور العلامة محمد البشير الإبراهيمي
- ✓ آيات من الذكر الحكيم
- ✓ النشيد الوطني
- ✓ شريط مصوّر عن حياة العلامة محمد البشير الإبراهيمي
- ✓ كلمة رئيس اللجنة العلمية ..... د/ بوبكر الصديق صابري
- ✓ كلمة رئيس الملتقى ..... د/ عبدالله بن صفية
- ✓ كلمة عميد الكلّية ..... د/ بوعلام رزيق
- ✓ كلمة عضو الهيئة الاستشارية العليا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .... أ. عبدالله عثامنية
- ✓ كلمة مدير الجامعة ..... أ.د/ بوضرساية بوعزة
- ✓ كلمة والي الولاية .....د/ محمد بن مالك
- ✓ كلمة مستشار وزير التعليم العالي والبحث العلمي ..... أ.د/ السعيد صاغور
- ✓ كلمة مستشار رئيس الجمهورية المكلّف بملف الأرشيف الوطني والذاكرة الوطنية والإعلان الرسمي عن افتتاح أشغال الملتقى..... د/ عبد المجيد شيخي

الجلسة العلمية الافتتاحية (11:00 — 13:00)

رئيس الجلسة .....أ.د/ إليـــــاس نايت قاسي

الأستاذ: محمد العربي الزبيري

الأستاذ: عمار بن خروف

الأستاذ: محمد الأمين بلغيث

الأستاذ: حسين عبد الستار

الأستاذ: علال بيتور

الجلسة العلمية الأولى (14:00 – 17:00)

رئيس الجلسة: زهرالدين رحماني ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. عبد العزيز الخروصي	البعد الوحدوي في فكر الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي	مسقط سلطنة عمان
د. أسامة عميرات	دور الخطابات الثقافية في مواجهة المشاريع الكولونيالية وتشكيل المناعة الفكرية للأمة الجزائرية	م.ع.أ العلمة
د. محمد جبر السيد عبد الله جميل	مرتكزات خطاب الإمام محمد البشير الإبراهيمي – رحمه الله – التحرري في مواجهة المد الاستعماري (دراسة تحليلية)	القاهرة مصر
د. عبد المجيد قديدح	الفضيل الورثلاني وقضايا التحرر؛ لفحات رجل ثائر	برج بوعريريج
د. حسين سياسي	الديمقراطية التشاركية عند جمعية العلماء ودورها في تقويض الخطاب الكولونيالي قراءة في علاقة الجمعية بالحزب الشيوعي من خلال المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936	البويرة
د. جويدة غانم	الكومبرادوري وسيط الكولونيالي والوطني	مستغانم
د.عمر بورنان	هدم الخطاب الكولونيالي عند الفيلسوف والمفكر الجزائري مالك بن نبي	المسيلة
د. بوبكر صماري	دور الشيخين صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي في تقويض الخطاب الكولونيالي في المغرب العربي	الجزائر
د. نجاة قرفال	الخطاب الاستعرابيّ والمغالطات الثلاث: العرق الأسمى والعلم الأرقى والمدنيّة الحقّ.	قابس– تونس
د.عاشور فني	الفضاء الثقافي الوطني والممارسة الشعرية	م.ب. وهران
د. وليد خضور	استرداد التاريخ وتنصيص الأمّة "تاريخ الجزائر الثقافي أنموذجا"	ميلة

مناقشة عامة

الدكتور: بورنان عمر .

أستاذ محاضر أ بكلية الحقوق و العلوم السياسية ـ قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية- جامعة محمد بوضياف – المسيلة.

البريد الإلكتروني: omar.bournane@univ-msila.dz

محور المداخلة: (المحور الثاني) الحركة الفنية والأدبية الوطنية وإنتاج بدائل الخطاب الكولونيالي.

عنوان المداخلة: هدم الخطاب الكولونيالي عند الفيلسوف والمفكر الجزائري مالك بن نبي.

ملخص:

بين مفهوم القابلية للاستعمار حسب الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي الذي أبرز دورها المدمر لهوية وحضارة الشعوب، كان الأديب الجزائري كاتب ياسين يردد بأن اللغة الفرنسية في الجزائر هي بمثابة غنيمة حرب. وبذلك فقد اختلفت الرؤى في تحليلها للظاهرة الاستعمارية من خلال العمل على كشف خطورتها وأدواتها عند البعض، ومحاولة إبراز بعض "إيجابياتها" عند الطرف الآخر كما يسوق له الخطاب الاستعماري الذي يتم إعادة انتاجه محليا عند بعض النخب المثقفة.

من هذا المنطلق جاءت هذه المداخلة لبحث موضوع الخطاب الكولونيالي ودور الحركة الفنية والأدبية الوطنية في محاولة هدم وإعادة البناء الفكري الوطني.

مقدمة:

عادة ما يلجأ المستعمر إلى وسائل مختلفة لتكريس منطق الهيمنة والتبعية بالقوة العسكرية والاقتصادية والسياسية، فيأتي خطابه الكولونيالي العنصري الذي عرف ومازال بكل أسف بعض الاستجابات بأشكال ونسب مختلفة عند بعض الشعوب حتى بعد استقلالها مستجيبة في ذلك للإرث الكولونيالي.

ولقد تعددت الرؤى والأساليب المعالجة للواقع الاستعماري الفرنسي في الجزائر من خلال إعادة انتاج الظاهرة الاستعمارية عبر تدوير بعض مخرجاتها لدى فئة معينة من الكتاب والمثقفين حتى في مرحلة ما بعد الكولونيالية، في حين لجأ الآخر منهم إلى النقد المنطقي والبناء للظاهرة وفق تحليل علمي ومنهجي أصيل، وإن كان - على العموم – كل منهما قد عايش الفترة الاستعمارية بكل آثارها وتجلّياتها، حيث كان يفترض آليا وحدة تلك الرؤى بوحدة مدخلاتها التي أدت إلى معاناة الشعوب. فأين يكمن الخلل إذا؟

فبالرغم من وحدة الخطاب الاستعماري الفرنسي في الجزائر وغيرها من بعض دول الجنوب في إفريقيا وآسيا بالخصوص، والذي كان ممجدا لدوره "الحضاري"، فقد وجدنا أن هناك قبولا على مستوى بعض الأفراد وحتى الشعوب بكاملها التي رفضت إلى يومنا هذا الخروج عن أَبويّة التفكير والتبعية للوصاية الاستعمارية ولو بنسب مختلفة كما سوف نرى لاحقا.

ولفهم الظاهرة جيدا ارتأيت تقسيم هذه الدراسة إلى المحاور التالية:

1- وصف موجز للمنظومة التعليمية والتكوينية خلال الحقبة الاستعمارية التي كرّست الخطاب الكولونيالي.

2- المقاومة الفكرية والتنظيمية للمشروع الإستعماري في الجزائر.

3- أهم آثار (مخرجات) الخطاب الكولونيالي.

4- هدم الخطاب الكولونيالي عند المفكر مالك بن نبي.

1- وصف موجز للمنظومة التعليمية والتكوينية خلال الحقبة الاستعمارية التي كرست الخطاب الكولونيالي:

تعددت اشكال الهيمنة الفرنسية في الجزائر مابين سنتي 1830-1962من عسكرية واقتصادية وسياسية، وكذلك من خلال المنظومة التعليمية والتكوينية عبر فرض منطق التبعية بسياسة التجهيل تارة والتكوين الانتقائي تارة أخرة الذي لم يكن يخدم سوى أغراض المحتل لإحكام السيطرة من خلال تكوين نخبة ثقافية وحتى سياسية تابعة له.

لقد عرفت الجزائر قبيل احتلالها ازدهارا علميا كبيرا بشهادة الفرنسيين أنفسهم الدّالة على انتشار التعليم في مختلف الأطوار التي بلغت أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي، الثانوي والعالي إلى جانب المساجد والمدارس القرآنية. ولقد شمل التعليم العام والمجاني، جميع فئات المجتمع وفي مختلف المجالات العلمية بما فيها الطب والفلك[1].

و في هذا الشأن يقول أحد المتدخلين في مجلس الشيوخ الفرنسي سنة 1894 : " كان التعليم العالي يشمل أرض الجزائر ، جمعا غفيرا من الناس المتعطشين للعلم و المعرفة يجلسون حول شيوخ علماء محترمين لتلقي مختلف العلوم كالشريعة ، الرياضيات و الأدب..."[2] إلا أن الإدارة الاستعمارية انتهجت بعد ذلك تعليما نخبويا بتقسيم الجزائريين إلى طبقات عديدة بتفضيل الأقلية على الأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين شملهم قانون الإنديجينا أو الأهالي العنصري فيما بعد، سنة 1881.من هنا فقد تم وضع تقسيم طبقي بما يخدم المصالح الفرنسية بإيجاد فئة النخبة الجزائرية التي نادت صراحة بسياسة الإندماج، و كذلك الحركى الذين قدموا الدعم العسكري للجيش الفرنسي على حساب ملايين من الشعب الجزائري الذين تم منعهم من التعليم بعد حصره في أضيق الحدود مع فرض تكاليف مالية باهضة للراغبين فيه[3]
.

وبسبب هذه الأوضاع المأساوية دفع الأمر بالعديد من الجزائريين التوجه إلى التكوين المفضي إلى المهن الحرة مع متابعة التعليم في المدارس الحرة التي أنشأتها الحركة الوطنية خاصة جمعية العلماء المسلمين ثم حزب الشعب الجزائري، دون أن ننسى البعثات التعليمية والتدريبات العسكرية إلى الخارج كتونس والقاهرة ودول المشرق العربي عموما.

وبالموازاة مع هذه الوضعية التعليمية المزرية كان للنخبة المثقفة الفرنسية الدور المحوري في تكريس غريزة السطو و الهيمنة الإستعمارية.حيث سعى مثلا المفكر و السياسي : أليكسي

دي توكفل Alexis de Tocqueville الذي درس الحالة الديمقراطية للولايات المتحدة الأمريكية و ألّف كتاب "الديمقراطية في أمريكا"، إلى محاولة تكريس أطروحة "الجنس الفرنسي الراقي أمام المتوحشين العرب"حسب قوله في في كتابه المعنون بـــ"عمل حول الجزائر".

سنة 1841. فكان بذلك من دعاة:

- سلب أراضي الجزائريين وتكثيف الإستيطان، بحيث كان هذا المفكر الفيلسوف من أكبر المعمّرين في الجزائر، مما

أدى بمنتقديه إلى وصف نشاطه في الجزائر بأنه الصخرة التي تحطّمت عليها ديمقراطيته.

- حرق المحاصيل الزراعية والمخازن الخاصة مع محاصرة السكان، وقوله إن إبادة الأهالي والمدنيين بالقضاء على

أسباب عيشهم هو حق مشروع وإن كان غير أخلاقي.

- ضرورة عدم السماح لزعيم المقاومة الأمير عبد القادر بتشييد مدن أو قرى جديدة للحد من نشاطه والقضاء

عليه، وفي هذا الشأن يدعو إلى "تدمير كل ما يشبه تجمعا سكنيا مستقرا...فمن الأهمية البالغة عدم ترك مدينة واحدة تشيّد على أراضي عبد القادر". [4]

فالخطاب الكولونيالي الفرنسي جاء لخلق متنفسا للمشاكل الفرنسية الداخلية و الانقسامات التي عانت منها في بداية القرن الـ 20 جراء الهزائم المتكررة أمام بريطانيا و هو ما تم ترجمته باتفاقية باريس سنة 1763 التي تنازلت فيها فرنسا مرغمة لبريطانيا عن العديد من المقاطعات مثل كندا ، لويزيانا و الهند...الخ ، فكان احتلال الجزائر هو من أجل العمل على توحيد المواقف و رص الصفوف و الخروج من المشاكل و الضغوطات اليومية للمجتمع الفرنسي.[5]

وإلى غاية الوقت الحالي مازال الخطاب الفرنسي، الرسمي أو غير الرسمي، يحاول تجاوز مختلف هذه الجرائم والالتفاف على العقول بنشر سياسة الكذب وتزوير التاريخ. فعلى المستوى الرسمي نجد ذلك مثلا من خلال مصادقة البرلمان الفرنسي على قانون "تمجيد الاحتلال الفرنسي" في المستعمرات الفرنسية بتاريخ 23 فبراير 2005 الذي صدر تحت عنوان: القانون رقم 2005-158 المتعلق بعرفان الأمة الفرنسية و المساهمة الوطنية لفائدة المرحّلين.

La loi nº 2005-158 du 23 février 2005 portant reconnaissance de la Nation et contribution Nationale en faveur des Français rapatriés.

أما بالطريقة غير الرسمية فهو ما تصرح به مثلا العديد من النخب الفرنسية في كتاباتها بالقول إن الجزائر حقّقت مكاسب كبيرة من الاستعمار الفرنسي وأن الفقر والحرمان خلال "التواجد الفرنسي" كان فقط في المناطق التي لم يصلها الاستيطان الفرنسي!!! [6]

2- المقاومة الفكرية والتنظيمية للمشروع الاستعماري في الجزائر:

في مقابل الخطاب الكولونيالي الفرنسي الهادف إلى فرض الهيمنة والتبعية انفجرت مقاومات مختلفة ضد المحتل منها ما هو مسلح، ومنها ما هو فكري -تنظيمي كمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري التي جمعت بن النهجين معا.

فقد اتخذت مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ضد المحتل الفرنسي ما بين سنتي 1833-1847 عدة أشكال سياسية، اقتصادية، عسكرية، وإدارية خاصة عبر تنظيمه المحكم للسلطات الثلاث (التنفيذية ،التشريعية و القضائية) وكذلك من خلال التنظيم الإداري الإقليمي الذي كان كما يلي :

الإمارة: وتتمثل في الدولة التي يحكمها الأمير بنفسه وتنقسم إلى ثمانية مقاطعات.
المقاطعة: وهي مقسمة بدورها إلى دوائر ويحكم كل مقاطعة عامل برتبة خليفة يمثل الأمير على مستوى المقاطعة ويقوم بمراقبة الأغوات.
الدائرة: وتكون تحت حكم الأغا وتظم مجموعة من القبائل.
القبيلة: وعادة ما تكون خاضعة لحكم القائد الذي يتولى الشؤون الإدارية للقبيلة، كما يتابع وضع العشائر داخل حدود القبيلة.
العشيرة: وهي الخلية الأساسية للتنظيم الإداري المحلي.

فقد كان التنظيم الإداري المحلي للدولة الجزائرية كما وضعه الأمير عبد القادر الجزائري يتألف من ثمانية مقاطعات – ولايات حاليا – هي: تلمسان، معسكر، مليانة ، التيطري، مجانة، الزيبان مع الصحراء الشرقية ، جبال القبائل أو برج حمزة و في الأخير مقاطعة الصحراء الغربية.[7] و كان الأمير عبد القادر الجزائري يختار العمال من ذوي العفة و النزاهة الذين اشتهروا بالحزم و العلم و حسن السياسة سواء في الإدارة المحلية أو المركزية و حتى الدبلوماسية من خلال تعيين السفراء في الخارج كما هو الحال مع فرنسا، خاصة بعد عقد اتفاقية دي ميشال Desmichels بتاريخ 28 فيفري 1834.[8]

لكن ما يلاحظ أنه قد كانت هناك مركزية شديدة في قرارات الأمير الذي كان يقوم بإصدارها ومتابعة تنفيذها شخصيا بهدف ضمان استمرار المقاومة، علاوة على قضية الجاسوس الفرنسي ليون روش Léon Roche (1809-1901) الذي تسلّل إلى إدارة الأمير عبد القادر بعد أن كان مستشارا له .

تنظيم الإدارة المحلية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية (1954-1962 م):

لا شك وأن اندلاع الثورة المسلحة وسرعة انتشارها عبر كل أرجاء البلاد دفع ذلك بجبهة التحرير الوطني إلى العمل على وضع تنظيم إداري وعسكري فعّال بغرض ضمان استمراريتها. فكان مؤتمر الصومام سنة 1956 الذي اتبع مبدأ القيادة الجماعية في تقسيمه العسكري والإداري للجزائر والذي كان كما يلي:

الولايات: عددها ستة، ويرأس كل منها ضابط برتبة عقيد، وتنقسم كل ولاية إلى عدة مناطق.
المناطق: وتكون كل منطقة تحت إدارة ضابط برتبة رائد. وتظم كل منطقة عدة نواحي.
النواحي: تقع كل ناحية تحت إدارة ضابط برتبة نقيب، وتظم الناحية عدة أقسام.
الأقسام: يكون القسم تحت إدارة ضابط برتبة ملازم، ويتضمن القسم مجموعة من الأفواج.[9]

أما على المستوى المحلي القاعدي فقد كان هناك نظام خاص بالمجالس الشعبية المحلية حيث يتكون كل مجلس من خمسة أعضاء يتم انتخابهم من طرف السكان ويسهرون على تسيير خمسة مكاتب هي:مكتب شؤون الشعب، مكتب الإصلاحات البلدية مع الحالة الصحية ،المكتب المالي، المكتب التجاري، ومكتب الشرطة ،حيث ينتخبون من بينهم رئيسا لهم يدعى شيخ البلدة.

هذا ونشير إلى أنه كان يتم على المستوى المحلي كذلك معالجة العديد من مشاكل السكان وحلّها من طرف المؤسسات المحلية التابعة لجبهة التحرير الوطني بما فيها المسائل القضائية والاجتماعية كشؤون الأسرة والقضايا المدنية وحتى الجزائية وغيرها، وذلك في إطار القضاء الموازي " المناهض للعدالة الفرنسية "، خاصة بعد أن فقد الجزائريون الثقة في هذه الأخيرة جراء المجازر المتكررة في حقهم.

3- أهم آثار (مخرجات) الخطاب الكولونيالي :

من المؤكد أن هناك آثار خطيرة للخطاب الكولونيالي سواء على مستوى المجتمعات والدول أو على مستوى الأفراد والمؤسسات. فحتى وإن كنا نخطو اليوم مرحلة ما بعد الكولونيالية إلا أن الآثار الهدامة للاستعمار التي تدافع عن مبادئه وتحمي مصالحه مازالت قائمة وخاصة اليوم بوسائل تكنولوجية جد متطورة عبر وسائل التواصل الاجتماعي للشبكة العنكبوتية للأنترنت.

فعلى **مستوى الدول والمجتمعات** أصبحت هناك دول بكاملها وعبر استفتاء شعوبها تختار طوعا البقاء ضمن قبعة الاستعمار وترفض استقلالها بعد قرون من الاحتلال ومنها ما يلي:

كاليدونيا الجديدة La Nouvelle-Calédonie : هي مجموعة من الجزر تقع جنوب غرب المحيط الهادي (شرق أستراليا)،وتبعد عن العاصمة باريس بأكثر من 10200 كلم، يبلغ عدد سكانها حوالي 271.000/ن ، وقد تم احتلالها من طرف فرنسا سنة 1853 ،حيث استعملت في البداية كمنفى لزعماء المقاومات المسلحة في مختلف المستعمرات الفرنسية كالجزائر وغيرها. ومنذ ذلك الحين وكاليدونيا الجديدة تابعة لفرنسا كمستعمرة حتى تاريخ 2021/12/12 عند اجراء الاستفتاء الذي كان رافضا للاستقلال حيث تم ترسيم الانضمام طوعيا لفرنسا من طرف السكان بنسبة 96.50 % لتصبح بذلك كاليدونيا الجديدة محافظة فرنسية رقم 101 !!!. [10]

فهنا نشير أن القابلية للإستعمار حسب تعبير الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي ،لم تعد مسألة فرد من الأفراد بل أصبحت قضية شعب بكامله بعد أن فضّل منتجات الحضارة الغربية و دولة الرفاهية الجاهزة على أهم مبدأ من المبادئ الإنسانية السامية وهو مبدأ الحرية الذي يعتبر الأساس لتكريس الذات الحضارية.

مايوت îles de Mayotte : نفس الملاحظة بالنسبة لجزيرة مايوت التي انسلخت عن الدولة الأم وفضلت البقاء تحت سلطة الدولة الفرنسية في استفتاء لها بنسبة 95.24.% فمنذ سنة 2011 أصبحت فرنسية وذلك رغم رفض الاتحاد الإفريقي وجامعة الدول العربية باعتبار دولة اتحاد القمر التي كانت تنتمي إليها هذه الجزيرة هي دولة عربية وعضو في الجامعة العربية ،كما هي عضو كذلك في منظمة التعاون الإسلامي. وتشكل مايوت جزيرة

من بين الجزر الأربعة المشكّلة لاتحاد القمر الواقعة في المحيط الهندي ما بين مدغشقر ودولة الموزمبيق، ويبلغ عدد سكان مايوت 270.000/ن. أما دولة اتحاد القمر ككل فيقارب عدد سكانها المليون نسمة.[11]

أما على **مستوى الأفراد والمؤسسات** فلا شك أن هناك أمثلة كثيرة جدا عن كتاب ومثقفين طُبِع فكرهم بصبغة أقل ما يقال عنها أنها ذات صلة بالنفوذ الكولونيالي، ولعل أبرزهم في الجزائر ما يلي:

1- كاتب ياسين: هو مؤلف-كاتب جزائري ولد سنة 1929 بمدينة قسنطينة وتوفي سنة1989 بفرنسا. له الكثير من القصص منها : محمد احمل حقيبتك و ارحل سنة 1971 Mohamed, prends ta valise و غيرها من القصص و المؤلفات مثل نجمة سنة 1956 Nedjma التي جسّد من خلالها أهم أفكاره ،حيث كثيرا ما ردّد كاتب ياسين أن اللغة الفرنسية هي غنيمة حرب و أن المجتمع الجزائري هو خليط من الشعوب و الإثنيات و أن العربية و الإسلام هما وليدتا الاستعمار مثل الرومان و البيزنطيين، و أن منارات المساجد هي صواريخ لاتنطلق. أما المؤذنون فيها فهم أشبه بكلاب الدواوير.[12]

وفي حقيقة الأمر أن الخطاب الكولونيالي و السياسات الاستعمارية في الجزائر الممتدة طوال 132 سنة و خاصة التعليمية منها كما أسلفنا ذكره ساهمت جميعا في المحافظة على اللغة الفرنسية و استمراريتها في الجزائر أو استعمالها كلغة رسمية في المستعمرات الفرنسية الأخرى التي أصبحت تُدعى بالدول الفرنكوفونية.[13]

أنا لا أريد من خلال هذه الورقة تنصيب "محكمة تفتيش" لإدانة أفكار كاتب ياسين أو غيره، لكن لابد من الإشارة إلى أن أفكاره "الكولونيالية" قد تقاطعت مع أفكار **فرحات عباس** بشأن نفي أي وجود للأمة الجزائرية التي بحث عنها بين الأموات في المقابر و لم يجدها !!! .و هو فكر يتقاطع بدوره مع الخطاب الكولونيالي الذي حاول الرئيس الفرنسي الحالي **إمانويال ماكرون** Emmanuel Macron إعادة انتاجه في تصريح له أمام تجمع لبعض الطلبة الفرنسيين في باريس بتاريخ 2 أكتوبر 2021 و لاقى تنديد واسعا من مختلف فئات المجتمع الجزائري و الدولة الجزائرية على حد سواء.[14]

2- القانون القانون رقم 62- 157 المتضمن **تمديد العمل بالتشريع الفرنسي** في الجزائر.[15] فمباشرة بعد الإستقلال وجدت الحكومة الجزائرية نفسها أمام فراغ مؤسساتي و قانوني كبيرين فلجأت مضطرة و بصفة مؤقتة إلى تمديد العمل بالقوانين الفرنسية المنظمة للحياة الاقتصادية و الإدارية..الخ شريطة عدم تناقضها مع السيادة الوطنية . وقد استمر العمل بهذا القانون إلى غاية إلغائه بالأمر رقم 73-29 سنة 1973 [16] بمناسبة ذكرى الإستقلال يوم 05 جويلية حيث اعتبرت حيثيات هذا الأمر أن القانون رقم 62-157 "يحمل علامة ثابتة من الإيحاء و الروح الإستعماريين و كذلك الميز العنصري".
فهنا نجد أن آثار الخطاب الكولونيالي امتدت إلى مختلف المجالات و الميادين بمافيها القانونية و الإدارية و هذا حتى في فترة ما بعد الاستقلال، و لعل ذلك يرجع لأسباب عديدة و متنوعة منها أسباب موضوعية و أخرى أقل ما يقال عنها أنها استمرار للإرث الكولونيالي

لاغير، و خاصة على مستوى بعض النخب التي بقيت متعاونة مع التوجه و المصالح الاستعمارية إلى يومنا هذا و في مختلف المستعمرات السابقة.و بشأن الجزائر تقول مغنية لزرق في كتابها المعنون بـــ : "نشوء الطبقات في الجزائر":

The Emergence of Classes in Algeria : A Study of Colonialism and Socio-Political Change.

" احتفظت حكومة بن بلا الأولى بالبنية البيروقراطية التي تركها المستعمرون الفرنسيون، و قد وُجِد هؤلاء الأفراد بين البورجوازية الصغيرة التي كانت تستخدمهم البيروقراطية الاستعمارية و بين جماعة "دعم لاكوست" Promotion Lacoste، و هذه الأخيرة جماعة مكونة من 23.182 جزائريا مدربين تدريبا خاصا على الوظائف الإدارية داخل إطار مخطط قسنطينة و هي خطة وضعت في أواخر الخمسينيات كبرنامج اقتصادي-اجتماعي إصلاحي في محاولة لإخماد الثورة ".[17]

4- هدم الخطاب الكولونيالي عند المفكر مالك بن نبي:

يعتبر مالك بن نبي من أهم أعلام الفكر والفلسفة في الجزائر و العالم على حد سواء، وقد ولد سنة 1905 بمدينة قسنطينة و توفي سنة 1973 بالجزائر العاصمة. له العديد من المؤلفات الهامة باللغة الفرنسية التي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية مثل:

-Les Conditions de la renaissance (1949) شروط النهضة
-Le Problème de la culture (1957) مشكلة الثقافة
-La Lutte idéologique en pays colonisé (1958) الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة
-Naissance d'une société (1960) ميلاد مجتمع

فكرة القابلية للاستعمار: كتب مالك بن نبي كتابه شروط النهضة (باللغة الفرنسية) سنة 1949 الذي تناول فيه مسألة القابلية للاستعمار، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تعرف مرحلة المخاض للخروج من عقم النضال السياسي كأداة لتحقيق الاستقلال الوطني بعد الحرب العالمية الثانية.

يقول مالك بن نبي أن أصول الاستعمار ،الذي يعتبر بمثابة نكسة تاريخية، تعود إلى عهد روما و الحضارة الرومانية ككل التي تحمل روحا استعمارية. إلا أن استعمار الشعوب لايعود فقط إلى مسألة قوة المستعمِر و إنما كذلك وفي الأساس إلى رضا و قابلية تلك الشعوب بالاستعمار. وتنقسم هذه القابلية إلى عنصرين هامين هما المعامل الإستعماري و هو عامل خارجي يقوم الإستعمار من خلاله بخلق نموذج للكائن المغلوب على أمره أما المعامل الداخلي فينطلق من باطن الفرد الذي يقبل على نفسه تلك الصفة مثل صفة الأهلي Indigène في الجزائر – التي جاءت رسميا بقانون 1881 مثلما ذكرناه سالفا- الذي لا يسمح للسكان الجزائريين سوى بالحركة ضمن الحدود الضيقة التي رسمها له المحتل و حدد له فيه أفكاره – كما ذكرنا سابقا بالنسبة لبعض الساسة الجزائريين و الكتاب الذين يعيدون انتاج الخطاب الاستعماري- .

فالمستعمِر يريد أن يعم الجهل بين الشعوب المستعمَرة ليسهل عليه أمر استغلالهم و لذلك لجأ إلى سياساته التعليمية المذكورة سابقا ، و هنا " كلما شعرنا بداء المعامل الاستعماري الذي يعترينا من الخارج، فإننا نرى في الوقت نفسه معاملا باطنيا يستجيب للمعامل الخارجي يحط من كرامتنا بأيدينا " و يستطرد مالك بن نبي بالقول أنه لابد في البداية من التخلص مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر، فذلك شرط أساسي لتحقيق استقلالنا. لأن المحتل درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها مواطن الضعف، فسخرنا لما يريد، ليجعل منا أبواقا يتحدث فيها. فكل ذلك تم بعلمه وجهلنا الذي نقبع فيه. [18]

وللخروج من هذه المشكلة يرى مالك بن نبي في كتابه "بين الرشاد والتيه" أن محاربة الإستعمار تبدأ من العقول وليس بمجرد انسحاب المحتل وتحرير دستور جديد بعد خروج المحتل. لأن القابلية للإستعمار قد تكون نتيجة لبعض الخصائص أو الصفات العقلية والنفسية التي ترسخت عند شعب معين، كما رأيناه سابقا بالنسبة لشعوب ترفض الإستقلال رسميا عبر الإستفتاء العام أو عن استمرار العمل بمنظومة تشريعية تعود للإرث الإستعماري.[19]

فالكولونيالية وبغرض ضمان استمرار هيمنتها على المستعمرات عملت على تشكيل البنى المعرفية الملائمة لها بخلق ذهنية جماعية تقبل هذه الهيمنة و هو نفس الارتباط الجدلي بين المعرفة و السلطة عند الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو. فالتكوين والتعليم هنا له وظيفة غائية تهدف إلى خدمة السلطة الكولونيالية لا غير[20].

ولعل هذا ما ثار من أجله الكاتب الجزائري مالك حداد (1927-1978) الرافض للسياسات الاستعمارية بقوله: إن اللغة الفرنسية هي منفاي وأنني أكتب باللغة الفرنسية حتى أقول للفرنسيين أنني لست فرنسيا.

خلاصة:

بناء على ما سبق يمكن القول إن الاستعمار بطبعه، ومن أجل ضمان استمرار نفوذه و هيمنته يسعى إلى استعباد الشعوب و استغلال خيراتها الطبيعية من خلال سياساته الاستدمارية و على رأسها التعليمية النخبوية تارة و تجهيل عموم الشعب تارة أخرى، و هذا ما أدى مثلما ذكرنا سالفا، إلى وجود نخبة متدرّبة و متكوّنة تكوينا فرنسيا غائيا لخدمة مصالحه و الحفاظ عليها في ظل قابلية الاستعمار التي أصبحت تعاني منها و فق ما كرسه خطابها الكولونيالي و الذي يجب تجاوزه و القضاء عليه.

الهوامش:

[1] وزارة الثقافة، **آثار الدكتور يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954**، طبعة خاصة، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009 ص ص 159-161.

[2] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث:بداية الاحتلال**، مصر:دار نافع للطباعة،1976، ص165.

[3] رابح تركي، **التعليم القومي و الشخصية الوطنية (1931-1956):دراسة تربوية للشخصية الجزائرية**، الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1975، ص 141.

[4] أوليفيي لوكور غرانميزون، **الإستعمار الإبادة:تأملات في الحرب و الدولة الإستعمارية**، ترجمة نورة بوزيدة،الجزائر:دار الرائد للكتاب، ص ص127 -130

[5] **نفس المرجع** ص 10.

[6] - https://www.legifrance.gouv.fr/loda/id/JORFTEXT000000444898/ (Site consulté en date Du :28/03/2022).

- Emmanuel Blanchard, fractures (post)coloniales à Mayotte.[en ligne]: https://www.cairn.info/revue-vacarme-2007-1-page-62.htm. (Site consulté en date du :28/03/2022).

[7] أديب حرب، **التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري:1808-1847**،ج2، الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1983،ص47.

[8] يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، ط2، دمشق: مطابع دار الفكر،1964، ص ص 77و91.

[9] عمر صدوق، **دروس في الهيئات المحلية المقارنة**، الجزائر: د م ج، 1988،ص96.

[10] https://www.vie-publique.fr/eclairage/18649-nouvelle-caledonie-3e-referendum-dautodetermination-12-decembre-2021. (Site consulté en date du :30/03/2022).

[11] https://fr.wikipedia.org/wiki/D%C3%A9partementalisation_de_Mayotte. (Site consulté en Date du :30/03/2022).

[12] https://hoggar.org/2016/10/21/kateb-yacine-le-mythe/Kateb Yacine… le mythe. (Site consulté En date du :02/04/2022).

[13] Alice Gohneix**, Les élites africaines et la langue française/une appropriation controversée**, p2. [en ligne]:https://journals.openedition.org/dhfles/117.(Site consulté en date du :02/04/2022).

[14] **لماذا يشكك الرئيس الفرنسي الآن في وجود أمة جزائرية قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر؟ [مقال مقتبس من موقع :]**

https://www.bbc.com/arabic/interactivity-58781587. (Site consulté en date Du :03/04/2022).

[15] République Algérienne Démocratique et Populaire, loi n° 62-157 du 31 décembre 1962 tendant à la reconduction jusqu'à nouvel ordre de la législation en vigueur au 31 décembre 1962, **J.O.R.A** N°02 du 11 janvier 1963.

[16] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الأمر رقم 73- 29 المؤرخ في 5 جويلية 1973 ، يتضمن إلغاء القانون رقم 62-157 المؤرخ في 31 ديسمبر 1962 و الرامي إلى التمديد حتى إشعار آخر لمفعول التشريع النافذ غلى غاية 31 ديسمبر سنة1962، **الجريدة الرسمية** ، العدد 62 الصادرة بتاريخ 03 أوت 1973، ص878.

[17] مغنية لزرق، **نشوء الطبقات في الجزائر:دراسة في الإستعمار و التغيير الاجتماعي-السياسي**،ترجمة سمير كرم،بيروت:مؤسسة الأبحاث العربية،1980، ص183.

[18] مالك بن نبي، **شروط النهضة**،ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر،1986، ص ص 148-155.

[19] مالك بن نبي، **بين الرّشاد والتيه**، بيروت-دمشق: دار الفكر المعاصر ودار الفكر،2002، ص40.

[20] شيخ سيسي،**المعرفة الكولونيالية في الخطاب الأنثروبولوجي مقاربة ابستمولوجية نقدية**.**[مقال مقتبس من موقع :]** **http://www.justemilieu.sn/** (Site consulté en date du :03/04/2022)